المقدمة

حمدا لمن عنت له الجباه، أحمده حمدًا كثيرا على توالي مننه ونعمه، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وصلاة وسلاما على خير خلق الله، سيدنا محمد بن عبد الله. اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، وكل من اتبع سنته وسار على هديه إلى يوم الدين.

وبعـــد..

فإن موضوع هذا البحث (**التوجيه الدلالي للظاهرة النحوية. دراسة في شعر ابن زيدون**) (*)، وأقصد بمصطلح (الظاهرة) تلك الاستعمالات التي خالف فيها ابن زيدون أصل الاستعمال، فمثلا يقتضي الأصل أن يذكر المبتدأ والخبر، وأن يتقدم الفاعل في رتبته على المفعول به، وأن الحال تتأخر عن صاحبها، وأن هناك تلازما بين المبتدأ والخبر. على حين تجيز القاعدة النحوية مخالفة هذا الأصل، فيحذف المبتدأ أو الخبر، ويتقدم المفعول به على الفاعل، وتتقدم الحال على صاحبها، ويفصل بين المبتدأ والخبر... إلخ. والشاعر إنما يلجأ إلى هذه المخالفات لغرض في نفسه، إذ يبحث عن أكثر الأساليب فعالية وتأثيرا في المتلقي.

وقد اقتصرت في هذه الدراسة على ثلاث ظواهر فقط هي: ظاهرة الحذف،

---

* هذا الكتاب أصله رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث إلى قسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم- جامعة القاهرة. بعنوان:الظواهر النحوية في شعر ابن زيدون. وقد نوقشت هذه الرسالة يوم الثلاثاء ١٦/ ٨/ ٢٠٠٥م، وناقشها كلٌّ من: الأستاذ الدكتور / أحمد كشك. مشرفًا، والأستاذ الدكتور / محمد حماسة عبد اللطيف. مناقشًا، والأستاذ الدكتور / محمود سليمان ياقوت. مناقشًا، وقد أُجيزت بمرتبة الشرف الأولى.

وظاهرة التقديم والتأخير، وظاهرة الفصل بين عناصر الجملة، باعتبار أن هذه الظواهر هي العوارض الأساسية التي تلحق الجملة العربية، كما أنها أكثر الظواهر النحوية تواترا في شعر ابن زيدون. ويقوم البحث بدراسة تلك الظواهر دراسة نحوية واستنباط ما ينتج عنها من دلالات في ضوء سياقاتها التي وردت فيها.

وقد اخترت شعر ابن زيدون ليكون مادة الدراسة؛ لما يأتي:

١. لأن ابن زيدون استعمل عددا من الظواهر النحوية استعمالا خاصًّا، فلم يلتزم تمامًا بالنظم النحوية المقننة من قبل النحاة، كاستعماله ظاهرة الحذف، وظاهرة التقديم والتأخير، وظاهرة الفصل بين عناصر الجملة. حتى أضحت تلك الاستعمالات ملمحاً أسلوبيًّا فى شعره.

٢. خصوصية حياة ابن زيدون، فهو من الشعراء الذين نالتهم ظروف خاصة، فقد تتابعت عليه المحن، من وشْي أعدائه وحساده الذين أوغروا صدر حكامه عليه، حتى سُجن في عهد أبي الحزم بن جهور، بعدما كان وزيرا وسفيرا له، وهو الذي أسهم بنصيب كبير في إنشاء دولة الجهاورة بقرطبة، ثم تعود له مكانته في عهد أبي الوليد بن جهور، فيعينه سفيرا له، ولكن سرعان ما تلعب الدسائس دورها في إفساد ما بين الأمير والشاعر من صداقة ومودة، فيضيق بقرطبة، ويهاجر إلى إشبيلية حاضرة خلافة بني عباد، حيث نال ما يأمله من منزلة في ظل المعتضد ثم ابنه المعتمد، إلا أن الوشايات أفسدت ما بينه وبين المعتمد. كذلك كاد له منافسوه في حب ولادة، حتى نجحوا في انصرافها عنه إلى غيره.

إن المتأمل في حياة ابن زيدون يرى أنها مليئة بالمتناقضات، فهو يبلغ أوج العلاء وزيرا وسفيرًا وكاتبًا، ثم ينحط إلى الحضيض وينتهي به المقام إلى السجن حيث ينتهي بالسفلة والمجرمين، نراه يبلغ قمة الصفاء في علاقته بولادة، ثم تفسد العلاقة بينهما وينصرف كل منهما عن الآخر.

كل هذه المتناقضات قد فجرت لدى شاعرنا طاقات هائلة من الإبداع، فكانت اللغة هي متنفسه الوحيد، وكان شعره هو أداته التي يعبر بها عن أفراحه وآلامه،

فجاء شعره انعكاسا لحالته النفسية، فهو الذي أسبغ على بني جهور أعظم آيات المدح والثناء وهو في ظلالهم، وهو الذي هجاهم وانقلب عليهم وهو في ظل بني عباد، وهو الذي خلع على ولادة أسمى الصفات، وهو الذي هجاها بأقبح الصفات، وهو الذي أنشد في سجنه أروع القصائد وأبدعها لاستعطاف الأمير، وهو الذي أرسل من منفاه نونيته الخالدة إلى ولادة. ولاشك أن حالته النفسية قد أثرت بشكل ملحوظ في طريقة تعبيره وبناء جمله، فكان جديرا بالدراسة.

ويعنى هذا البحث بدراسة الظواهر الجوازية التي يكون الشاعر فيها مخيرا بين أكثر من استعمال؛ لأنها تحقق قدرا من الاختيار لديه، ولكنه يؤثر استعمالا على آخر؛ سعيا منه وراء غايات يتغياها؛ لذلك لم يكن للاستعمالات الواجبة وجود في هذا البحث؛ لأن الشاعر حينئذ لا يملك قدرا من الاختيار، فليس أمامه سوى اختيار واحد، ومن ثم تنعدم دلالة هذا الاختيار.

وقد تفاوتت الظواهر النحوية الواردة في شعر ابن زيدون من حيث الكم، فهناك ظواهر شاعت وكثرت في الديوان. وهذه الظواهر كنتُ أتخير منها ما تظهر فيه دلالة الظاهرة بشكل واضح. وهناك ظواهر نادرة الورود في الديوان، فلم ترد سوى مرة أو مرتين فكنت أوردها كاملة.

وكنت في أثناء الحديث عن ظاهرة ما أبدأ أولاً بموقف النحاة من هذه الظاهرة، محاولا الإحاطة بالموضوع من كل جوانبه والوصول إلى الرأي الأرجح، ثم أتبع آراء النحاة الرأي الذي أميل إليه، وقد وضعت عناوين للأغراض الدلالية لاستعمالات ابن زيدون، وكنت في كثير من الأحيان أستفيض بعض الشيء في الحديث عن ظروف القصيدة، والجو الذي قيلت فيه، كما استفضت أيضا في الشرح العام لشواهد ابن زيدون؛ وذلك لكي يكون البحث على بينة بما يحيط بالقصيدة من ظروف وملابسات، ومن ثم إمكانية الربط بين دلالة الظاهرة وسياقها الذي وردت فيه.

وقد اعتمدت على عدد من المصادر والمراجع التي أسهمت بشكل كبير في توجيه مسار هذا البحث، منها: كتاب سيبويه (١٨٠ هـ)، والمقتضب للمبرد (٢٨٥ هـ)،

والأصول في النحو لابن السراج (٣١٦هـ)، وكتب أبي على الفارسي (٣٧٧ هـ): المسائل الحلبيات، والمسائل البصريات، والمسائل المنثورة، والمسائل العسكرية، وكتاب الشعر، وكتب ابن جني (٣٩٢ هـ): الخصائص، والمحتسب، واللمع، وسر صناعة الإعراب، وأمالي ابن الشجري (٥٤٢ هـ)، وشرح المفصل لابن يعيش (٦٤٣ هـ)، وكتب ابن مالك (٦٧٢ هـ): تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، وشرح التسهيل، وشرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ. كما كان لكتب البلاغة دور كبير في بناء هذا البحث، منها: العمدة لابن رشيق (٤٥٦ هـ)، وسر الفصاحة لابن سنان (٤٦٦ هـ)، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (٤٧٤ هـ)، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور. والكتابان لضياء الدين بن الأثير (٦٣٧ هـ)، والإيضاح في علوم البلاغة للقزويني (٧٣٩ هـ)، والطراز للعلوي (٧٤٩ هـ)، إلى غير ذلك من كتب النحو والبلاغة الأصيلة والحديثة.

ويأتي هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول:

- المقدمة: تناولت فيها طبيعة الموضوع وأسباب اختياره وأهدافه ومنهجه وأهم المصادر التي اعتمدت عليها.
- التمهيد: وشمل حديثا عن طبيعة لغة الشعر، ودور النحو في تحليل النص الشعري، ثم تحدثت فيه حديثا موجزا عن ابن زيدون، ثم جاء الحديث عن نسخة الديوان التي اعتمدت عليها ووصفها والأسباب التي دعت إلى الاعتماد عليها.
- الفصل الأول: (ظاهرة الحذف فى شعر ابن زيدون) وينقسم هذا الفصل إلى ما يأتي:

توطئة:

- المبحث الأول: الحذف في الجملة الاسمية المطلقة.

- المبحث الثاني: الحذف في الجملة الاسمية المقيدة.
- المبحث الثالث: الحذف في الجملة الفعلية.
- المبحث الرابع: الحذف في أسلوب الشرط والقسم.
- المبحث الخامس: حذف المكملات.
- المبحث السادس: حذف الحروف.

- الفصل الثاني: (ظاهرة التقديم والتأخير فى شعر ابن زيدون)، وينقسم إلى ما يأتي:

توطئة:

- المبحث الأول: التقديم والتأخير في الجملة الاسمية المطلقة.
- المبحث الثاني: التقديم والتأخير في الجملة الاسمية المقيدة.
- المبحث الثالث: التقديم والتأخير في الجملة الفعلية.
- المبحث الرابع: التقديم والتأخير في أسلوب الشرط.
- المبحث الخامس: التقديم والتأخير في المكملات.

- الفصل الثالث: (ظاهرة الفصل بين عناصر الجملة فى شعر ابن زيدون)، وينقسم إلى ما يأتي.

توطئة:

- المبحث الأول: الفصل في الجملة الاسمية المطلقة.
- المبحث الثاني: الفصل في الجملة الاسمية المقيدة.
- المبحث الثالث: الفصل في الجملة الفعلية.
- المبحث الرابع: الفصل في أسلوب الشرط والقسم.
- المبحث الخامس: الفصل في المكملات.

وبعد، فإن آيات الشكر والثناء لتقف عاجزة أمام فضل أستاذي، عالم العربية الكبير الأستاذ الدكتور / أحمد كشك، الذي طالت صحبتي له، منذ أن كنت طالبا

بالفرقة الأولى، وعلى مدى أربع سنوات طوَّافًا بنا في علوم النحو والصرف والعروض، ثم شرفت به مناقشا لي في بحثي للماجستير، وبعد ذاك أرشدني إلى دراسة شعر ابن زيدون، ثم سعدت بقبول توجيهه وإشرافه عليّ في بحثي للدكتوراه. أسأل الله تعالى أن ينفعنا بعلمه دائما، وأن يبارك في أيامه، وأن يمتعه بالصحة والعافية، وأن يجزيه عني كل الخير.

والدعاء بالرحمة والمغفرة لأستاذي العلامة المحقق الأستاذ الدكتور / محمود محمد الطناحي – رحمه الله رحمة واسعة – الذي شملني بعطفه ورعايته، ووضعني على بداية الطريق، فقد كان من فضل الله عليّ أن تتلمذتُ عليه في مرحلة الليسانس، ثم أشرف عليّ في بحثي للماجستير. عوَّض الله العربية عنه خيرا، وطيَّب ثراه، وأسكنه فسيح جناته.

والشكر والعرفان لأستاذى العالم الجليل الأستاذ الدكتور / محمد صلاح الدين مصطفى بكر (الإنسان) الذى أفتح معه خطًّا هاتفيًّا فى الوقت الذى أريده، يرقب خطوي، ويجبر نقصي، ويوجهني إلى أشياء كثيرة يغفل عنها مثلي، أسأل الله أن يمتعه بالصحة والعافية، وأن يجزيه عني خير الجزاء.

وأخيرا، فهذا هو جهد المقلِّ، فإن كنت جانبتُ الصواب، فحسبي أنني اجتهدتُ فى هذا البحث قدر استطاعتي، مخلصا النية والعمل، وحسبي بذلك أن أنال أجر المجتهد المخطئ، وإن كنت وفقت في شيء يسير منه، فحسبي هذا على التوفيق من دليل، وعلى الله قصد السبيل.

اللهم اغفر زلاتنا، وتقبل منا صالح عملنا، وتجاوز عن سيئه، فإن أمرنا كله بيديك، بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.